من صحيح ا

تقديم

أناهير بنت عبي

غفر الله لها ولوا

١٤٣٦ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثالث عشر

بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَيَقُولُ: "لَا أَدْرِي"، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَلَمْ يَقُلْ بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ

بابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلَا تَمْثِيلٍ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمين.

نحمد الله حمدًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه كما يسّر لنا الاجتماع حول سنّة نبيه -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يجعلنا من أهل الشرب من حوضه -صلَّى الله عليه وسلَّم- وأن نكون محفوظين بمتابعة السنّة ولا تزّل أقدامنا في البدعة، نسأل الله -وهو الحفيظ- أن يحفظنا بحفظه وذرارينا والمسلمين اللهم آمين!

كنا قد جلسنا هذا المجلس المبارك لمناقشة كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة من صحيح البخاري، وكررنا ولازلنا نكرر أهمية مسألة الاعتصام خصوصًا اليوم، كل ظاهرة ظهرت حولنا

-خصوصًا الظواهر الشاذة التي فيها غلو- مثل ظاهرة الإلحاد من جهة وظاهرة الإرهاب من جهة أخرى، إنما مرجعها لعدم الاعتصام بالكتاب والسنّة، والمشكلة في مسألة الاعتصام بالكتاب والسنّة أنها دعوى تدور على ألسنة الناس كلهم، يعني كل المسلمين الذين يشهدون بأن لا إله إلا الله ومحمدًا رسول الله، دعواهم أنهم من أهل الاعتصام بالكتاب والسنّة، ودائما يقولون: "منهجنا الاعتصام بالكتاب والسنّة" وكنا اتفقنا أن الدعاوى وحدها لا تكفي، فإن أهل النفاق صفتهم في كتاب الله أنهم أهل دعوى، حتى أن الله عندما وصفهم في سورة البقرة، وصفهم بأنهم يدّعون أنهم مصلحون، والله يقرر عنهم أنهم (هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ)[1] ، لا يشعرون أنهم مفسدون لهذه الدرجة وصل الخداع! ولذلك يوم القيامة عندما يأتي الموقف العظيم ويجتمع المسلمين والمنافقين في الحشر، يشبهوا بعض في مبدأ المسألة وهذا من خداع الله لهم لأنهم كانوا يعيشوا على خداع الله (يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

[1]() البقرة: 12.

يَشْعُرُونَ)[2] . من مواقف الخداع يأتي موقف يوم القيامة، يوم القيامة يُحشر المؤمنون والمنافقون سويًا في مبدأ المسألة، وفي مبدأ المسألة كأن المنافقين معهم نور ويصلون لمكان معين فيُطفأ نور المنافقين (فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ) يعني من جهة المؤمنين (وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ) من قِبل المنافقين (الْعَذَابُ)[3] يأتي المنافقون وينادون المؤمنين ويقولون: (أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ)؟ يعني نشهد شهادتكم وندّعي دعوتكم، يعني نقول: "نحن معتصمون بالكتاب والسنّة" (قَالُوا بَلَى) أما من جهة أنكم تدّعون، فالأمر كما ذكرتم، كنتم معنا في صورتكم الخارجية (وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) معناها أن الاعتصام بالكتاب والسنّة ليس مجرد دعوى، والله عالم الغيب والشهادة، يعني الكذب عليه ما يخسر فيه إلا صاحبه؛ لأن الله مطلع على ما في قلوب الخلق، والمشكلة أن الإنسان يدّعي دعوى ويكررها على نفسه إلى أن تأتيه لحظات يصدق دعوته! وهذا واضح في سورة المجادلة

---

[2] () البقرة: 9.

[3] () الحديد: 13.

عندما وصف الله المنافقين، كيف كانوا في الدنيا يحلفون للنبي (اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً)[4] كانوا يذهبون للنبي وهم يتسارّون ويتناجون لخراب أهل الإسلام هم واليهود، وعندما يصلون عند النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يحلفون، بقوا على هذه الحالة في الدنيا، متخذين أيمانهم جُنّة، ويحلفون أنهم مع المؤمنين ويريدون الصلاح، إلى أن ماتوا على تلك الحالة إلى أن بُعثوا، ولمّا لاقوا الله يحلفون له (كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ)[5]، يعني بقي الكذب على الله وعلى رسول الله وعلى أنفسهم يجري في دمائهم حتى عندما لقوا ربهم ظنوا أن هذا الكذب يكون مع رب العالمين!

ولذا دعوى الاعتصام بالكتاب والسنّة كل الناس كل يدعونها، لكن لابد من أدلة تدل على أن العبد معتصمٌ بالكتاب والسنّة، ولابد أن نعلم أنه لا نجاة ولا فلاح ولا بقاء على الصراط المستقيم ولا شرب من حوض النبي الكريم إلا لمن اعتصم بالكتاب والسنّة، والاعتصام بالكتاب والسنّة هو الدين؛ ولذا لابد أن نعلم أن

---

[4]() المنافقون: 2.

[5]() المجادلة: 18.

اعتصامنا ليس أمرًا زائدًا بل نحن مأمورون به في كتاب الله، قال تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا).

مرّ معنا أدلة تدل على أن هذا العبد معتصمٌ بالكتاب والسنّة، وكررنا هذه الأدلة، وكان من أهمها على الإطلاق:

- أن يكون العبد مستغنيًا بالكتاب والسنّة عن غيرهما. لا يفكر ولا يحكم إلا بما ورد في الكتاب والسنّة.
- ثم يأتي وراء الاستغناء تعلم الكتاب والسنّة.
- وإذا تعلمهما سأل عنهما.
- وإذا سأل كان عنده حدود في هذا السؤال.
- ثم أتت صفة مهمة من صفات المعتصم وهي أنه لا يتكلم على الله بلا علم. يعني المعتصم بالكتاب والسنّة لا تجده يتكلم في دين الله إلا بما علِم من دين الله.

إذا كان لا يعلم إما أن يبحث ليتعلم أو يحوّل هذا السؤال لأهله، أهم صفة من صفات المعتصم بعد استغنائه وتعلمه ألّا يتكلم في دين الله إلا بما يعلم؛ ولذلك من أخطر الذنوب وهي في درجة الشرك أو تكاد تكون أعلى من الشرك هي القول على الله بلا علم،

وهذا علمناه من آية سورة الأعراف، قال تعالى: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) قال أهل العلم: "هذه الآية بدأت بالأدنى إلى الأعلى"، أعلى الذنوب على الإطلاق أن تقول على الله بلا علم، وهذا الذنب اليوم بالذات بابه مفتوح، نرى وسائل الاتصال سهّلت على الناس أن يتكلموا ويفتوا في دين الله بما لا يعلمون وبجرأة! أصبح الأمر يسيرًا لأنه في الزمن الماضي أهل القرى كان غالبهم لا يقرؤون والذي يقرأ فيهم هو إمام المسجد، فهو الوحيد الذي قد يتكلم والباقي لا يقرأ فيسمعوا، لكن اليوم فشت القراءة فأصبح الناس يظنون أنهم لو قرؤوا الأحكام لأصبحوا عالمين بها! وهذا ليس صحيحًا فإن مجرد القراءة لا تدل على العلم، والأمثلة على ذلك كثيرة والخلط كثير في هذا الباب، وليس هذا المجلس فرصة لذكر أمثلة، لكن إن فكرتم ستجدوا أمثال هذا كثيرة في وسائل التواصل، وصل بهم الحال إلى أن يحكموا على الأمر خطأ أو صواب، من آرائهم، حتى أن الأمر لم يتوقف على مجرد قدرتهم

على القراءة بل تعلموا مهارات منها مهارة القراءة السريعة، فطبقوها على كتب أهل العلم وعلى كلام رسول الله، يعني تصور ليس فقط يقرؤون بل يقرؤون سريعًا، فماذا يُنتظر منهم؟! قد قال الله في حق كلامه: (قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا) وأمره (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) لماذا؟ (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)[6] فلتفهمه لابد أن تتهيأ له بأن تقوم الليل وتقرؤه وتكرره لتبلغ فهمه، ليس أن تقرؤه سريعًا! أو تكتفي بمجرد قراءته! وهذا كله له شواهد كثيرة في الحياة فإن سألنا أحد: ماذا تعلم عما تحفظ، قل بجملة مفيدة ما معنى اسم الصمد؟ بجملة مفيدة ما معنى اسم الله؟ ما معنى السلام المؤمن المهيمن؟ نجد أنفسنا رغم تكرار هذه الكلمات علينا، بل هذه الأسماء العظيمة لله، وها نحن بعد كل صلاة نقول: «اللَّهمَّ أنتَ السَّلامُ ومنكَ السَّلامُ»[7]، لكن نكتفي بالإجابة بالمعنى العام! ما دمت أنا جاهل واكتفيت بمعرفة المعنى العام، إذًا عليّ أن أقف عند حدودي! لا أتكلم في دين الله، عندما تُسأل: "ما معنى الصمد؟" تدور وتدور لتشرحه! هذا يعني أنك لم تقرأ فيه؛ فقف

---

[6]() المزمل: 4- 5.

[7]() أخرجه أبو داود (1513).

مكانك، اعلم أين أنت في دين الله، فلا ينبغي لك أن تكون لا تعلم ومع ذلك تتكلم! إذًا الكلام في دين الله ليس بالأمر اليسير، وكما اتفقنا من أخطر الذنوب، ويكاد يكون أخطر من الشرك؛ لأنه مع الأيام إن تكلم في دين الله هذا وذاك، أصبح هناك دين جديد غير دين الله؛ والسبب: أن كل واحد يأتي من عنده بكلام.

كنا أمس تكلمنا في هذا وتدارسنا الباب السادس (بَابُ إِثْمِ مَنْ آوَى مُحْدِثًا) و(بابُ مَا يُذْكَرُ مِنْ ذَمِّ الرَّأْيِ وَتَكَلُّفِ الْقِيَاسِ) واتفقنا على حديث النبي: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاهُمُوهُ انْتِزَاعًا، وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنْهُمْ مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاءِ بِعِلْمِهِمْ» إلى هنا علمنا أن العلم سيقِل بسبب قبض العلماء، إلى هنا توجد مشكلة؛ ولذا لابد من التعلم وبذل الجهد وكل من يجد في نفسه فرصة سانحة أو قدرة لطلب العلم فليغتنم ذلك فإن الدنيا تذهب وعلومها ولا يبقى في ميزان العبد إلا ما فعله لله خالصًا، المشكلة ليست هذه فقط لأنه كما سيتبين لنا أنه ستبقى طائفة بعد ذلك في الأحاديث معها الحق، المشكلة في الطرف الثاني، أنه عندما يموت العلماء لا يذهب الناس ويبحثون عمن يعلمهم، بل في نفس

الأماكن التي مات فيها العلماء يخرج جهال، فيبدأ الخطأ من عند الناس، وقرأنا أمس ذلك: «يَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ» الخطأ من الطرفين: ممن صدّروا أنفسهم للفتيا، ومن الناس الذين كان عليهم أن يختاروا من يسألونه بعناية. واليوم لا عذر لأحد أن يسأل أي أحد، لأن كل هذه وسائل الاتصال سهلت أن يصل لك من يقول لك: "هذا دينك"؛ فاجتهد من أجل أن تتعلم، وهناك وسائل كثيرة تصل بها لأهل العلم، ومن استغاث بالله أغاثه، ومن طلب من الله أن يدله دلّه وقرّب له العلم.

معنى ذلك أن الخطر على الأمة يكون بنزع العلم بموت العلماء من جهة، والجهة الأخرى الخطيرة، أن يحل الجهّال محل هؤلاء العلماء.

ثم أتانا الحديث الثاني الذي فيه كلام سهل ابن حنيف، وسهل ابن حنيف ممن حضر صِفّين، وكان يكلم الخوارج الذين خرجوا على عليّ أبي طالب ويقول لهم: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهِمُوا رَأْيَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ" وذكرهم بالموقف الذي كان بين سهل ابن حنيف والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- عندما كانوا في الحديبية، كانوا في موقف

يشعرون أنهم في قوة، يشعرون أنهم إن قاتلوا قريش سيقتلونهم، يشعرون أن الأفضل ألّا تكتب الوثيقة بينهم وبين قريش، وشروط الوثيقة التي في الحديبية كأنهم رأوها تظلم المسلمين، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أقرّها ووافق عليها، وهم وقع في قلوبهم أنها ليست في صالحهم؛ ولذلك سهل ابن حنيف يقول لهم: "لَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمَ أَبِي جَنْدَلٍ وَلَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرُدَّ أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لَرَدَدْتُهُ" لكنه لم يفعل ذلك والصحابة لم يفعلوا، بل إنهم أطاعوا النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وإن كانوا قد أطاعوه على مضض، كما في القصة أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- رآهم ما تحللوا من العمرة، فدخل على أم سلمة وأشارت عليه أن يخرج فيحلق شعره فإذا رأوه سيفعلون، يعني هم سينقادون، لكن في قلوبهم حرجًا من ذلك، فهو يقول: "اتهموا آرائكم على دين الله." لماذا؟ لأنهم في ذاك الموقف كانوا يرون رأيهم خيرًا من رأي النبي، ثم دارت الأيام ودخل العرب في الإسلام وقويت شوكة المسلمين، ثم أتى القتال والمسلمون ظهورهم قد أُمّنِت، لكن

إن دخلوا القتال وظهورهم لم تؤّمن من العرب، فما كان النصر لهم.

الشاهد أن في قبول النبي لصلح الحديبية خيرًا كثيرًا، رغم أن العقل في أول الأمر يقول: "لا خير فيه."؛ ولذا من كلام علي بن أبي طالب: "لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولَى بالمسحِ من أعلاهُ "[8] يعني إن حسبنا أن رأينا يقول إن الوضوء والمسح من أجل النظافة، وهذا الخف له ظاهر وله باطن، الباطن متصل بالأرض والظاهر أعلى منه، أيهما أكثر قذارة؟ الباطن، فإن كنا نفكر بالرأي أن نمسح الأكثر وسخًا لكنا مسحنا أسفله، لكن الشرع يأمرنا أن نمسح أعلاه، لماذا؟ هذا الشرع، فأنت ماذا تفعل؟ تقف عند الشرع، ونفكر، لو كان الوضوء للنظافة، لما كنا عندما نفقد الماء للوضوء نتيمم بالتراب! بذلك نكون على طرفي نقيض وكلاهما يدخلك الصلاة، لكن الدين ليس بالرأي، شيء أبعد من تفكيرنا ونحن عندما نعتصم ونمتثل الأمر، نرى آثاره ذلك الطيبة ونجد عقلنا قد أُرشد إلى أسرار لا يمكن أن نعرفها بمجرد النظر الأول. هل هذا يعني أن الدين يناقض العقل؟ لا، الدين يعلّم العقل

[8]() أخرجه أبو داود (162).

ما لا يستطيع إدراكه من ظاهر المسائل، مثلًا النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يقول: «الحَمْوُ المَوتُ.»[9] الحمو: أخو الزوج. يعني هذا دخوله على المرأة أخطر من أي أحد آخر، تأتي المرأة بعقلها تقول: "أنا دخلت عليه وهو صغير، وأنا مثل أمه..."، هذا الكلام تقوله ولا تعلم ماذا في كوامن هذا الشاب الذي كبر ولم يتزوج! فكونك تحكم على الأمر من ظاهره، هذا من جهلك، أنت لا تعلم كوامن الذين حولك، بغض النظر عن هذا المثال، كم مرّت علينا مواقف مع أناس كنا نظن خيريتهم، ثم تأتي مواقف فيُفتضح ما بداخلهم، والشريعة تأمرك أن تسير في الطريق المستقيم، أنت لا تستطيع أن تحكم على داخلك! نفسك تتقلب عليك، فكيف تستطيع أن تحكم على من حولك؟!

إذًا في كل هذه المواقف نقول: "الدين يدل العقل على الطريق المستقيم، يدله على الحقائق، وليس يمنعه من التفكير." تعلمون أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: «اعْقِلْها وتوكَّلْ»[10]. يعني اربطها. فالعقل هو الذي يمنعك من الوقوع في الخطأ. ما هو

---

[9]() أخرجه مسلم (2172).

[10]() أخرجه الترمذي (2517).

الخطأ؟ ما هو الصواب؟ الخطأ والصواب الشريعة تقوله لك، ثم العقل يأتي إلى الخطأ الذي قررته الشريعة فيمنعك، وإلى الصواب الذي قررته الشريعة فيدفعك، هذا العقل، فالعقل لن يكون مرشدًا إلا إذا كان هناك قاعدة يُرشد عليها. والعرب تقول: عقال. من العقل هو الشيء الذي يربط الشيء من أن ينفلت. يعني عقولنا مانعة لنا من أن نقع في الخطأ، ما الذي يُقدّر أن هذا خطأ وخطر وما الذي يقدر أن هذا صواب وصلاح؟ الشرع، وانظر عندما تكونين أمًا ولديك طفل، لا يعلم أن آخر هذا الممر سيسقط، لماذا؟ لأنه جاهل، لكن عندما يخاف أو تمنعه يبتعد. إذًا الشرع أتى من علام الغيوب سبحانه وتعالى، فيعلمك من أجل ألا تقع، فالعاقل يمنع نفسه عندما يأتي الخطأ والخطر، والعاقل يدفع نفسه عندما يأتي الفلاح.

إذًا العقل ينمو مع الشرع ويفسد مع الهوى، العقل هو بنفسه دوره أن يعقلك، يمنعك، أو يدفعك، إما يقوده الهوى يعني اللذائذ أو يقوده الشرع، فإن قاده الهوى وقع في المصائب، وإن قاده الشرع وُقِف عند الصواب.

لنرى كل ما أمرت به الشريعة، هل يمكن لإنسان عاقل أن يأتي لأي شيء أمرت به الشريعة ويقول: "ليتها ما أمرت؟!" الفطرة السوية التي هي عقل الإدراك ترى أن الإحسان إلى الوالدين خيرٌ. أن الإحسان للفقراء خيرٌ، ترى أن شرب الخمر وزوال العقل شرٌ. إذًا مرر كل شيء وستجد أن العقل السليم من الهوى يقول: "لا يوجد أمر أمرت به الشريعة، ينكره العقل الخالي من الهوى، ولا أمر نهت عنه الشريعة ويقول عنه: ليتها ما نهت عنه!" من -مثلًا- يفرح بالمعاملات الربوية؟ ليس المحتاج -وهم الفئة الأكبر-، بل القلة ممن لديهم مال وعندما يُقرضونه يأخذون عليه، وإن احتاجوا سيكرهون الربا، يعني متى يُحب خلاف الشريعة؟ عندما يدخل الهوى ولذلك عندما يأتي من يقول: "نحكّم العقل." نقول له: "العقل أداة مانعة أو دافعة وإما يحكمها الشرع أو يحكمها الهوى." ولذلك لا يمكن أن يحصل تعارض بين العقل والشريعة لأن كل ما في الشريعة لا يوجد عقل خاوٍ من الهوى ويقول: "ليته ما أمر به!" إن أتينا مثلًا لموقف قطع يد السارق، طالما ليس بيتي هو المسروق وليست أموالي التي جمعتها طوال عمري، أقول: "حرام

ومسكين!" عندما يكون بيتي هو المسروق تكون مشاعري تجاه السارق ليس فقط أريد قطع يده، بل توجد مشاعر أكبر من قطع اليد! لكن الشريعة ما أتت وفق هذا التطرف ولا ذاك، فتخيل المسألة إن كانت بالعقل، هذا بيت سُرق وبجانبهم جيرانهم، فوقع في قلوبهم الرعب، فأصبحوا يريدون أن يفعلوا به الأفاعيل! ثم سكان الحي سمعوا بالسرقة فخافوا، فتمنوا لو أمسكوه فقطعوا يده، لكن ماذا تكون مشاعر من يسكن في آخر المدينة؟ يقول: "قد يكون السارق مسكينًا ومحتاجًا!" هذا لأنه بعيد عن الحدث، معنى ذلك ستبقى العقول متأثرة بالهوى والشريعة لم تأتِ موافقة للهوى، إنما أتت موافقة لمصالح الناس أجمعين، فلا يغرك أن يقال -مثلًا-: "قتل القاتل وقطع يد السارق جريمة وخلاف الإنسانية!" إن كان المقتول له صلة بالمتكلم، ستكون مشاعره تجاه القاتل فظيعة، وإن كنا بعيدين لن نتأثر! فالشريعة لم تأتِ وفق هوى الناس وإنما أتت لتضبط أحوالهم.

إذًا ممنوع أخذ الدين بالرأي وممنوع التكلم في القياس، المطلوب منا أن نمتثل الشرع وما نتكلم بهوانا، ولا يكون هناك تعالم وهي قضية خطيرة.

نبدأ بالباب الثامن الذي يدل على أن هذا كان مسلك النبي الكريم، يعني ترك الكلام في الدين بغير علم كان مسلك النبي الكريم، وهو من بلغ الوحي وهو خير من يجتهد وخير من ينظر للأمور ومع ذلك سننظر كيف كان موقفه

بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فَيَقُولُ: "لَا أَدْرِي"، أَوْ لَمْ يُجِبْ حَتَّى يُنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ وَلَمْ يَقُلْ بِرَأْيٍ وَلَا بِقِيَاسٍ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ).

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتْ.

- حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُنْكَدِرِ، يَقُولُ: سَمِعْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: مَرِضْتُ فَجَاءَنِي رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ،

فَأَتَانِي وَقَدْ أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: فَقُلْتُ: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ - كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟ قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ.

← نبدأ بالعنوان (بَابُ مَا كَانَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يُسْأَلُ مِمَّا لَمْ يُنْزَلْ عَلَيْهِ الْوَحْيُ -يعني يسأل سؤالًا ولم يكن الوحي قد نزل به- فَيَقُولُ: "لَا أَدْرِي")

يعني (لا أدري) أو كلمة تشبهها، مثلًا حينما أتى جبريل -عليه السلام- للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وسأله في الحديث الطويل عن الساعة، فقال له: «ما المسئولُ عنها بأعلمَ منَ السَّائلِ»[11] معنى هذا الكلام أنه لا يدري، كأنه يقال: إذا كان النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وله ما له من الشرف والوحي ينزل عليه، وهو أهل للاجتهاد ومع ذلك يقول: (لا أدري) فمن باب أولى كل أحد غير النبي عندما يكون في موقف مثل هذا لابد أن يقول: (لا أدري). فكان له موقفان مما لم ينزل به الوحي:

[11]() أخرجه مسلم (8).

- إما أن يقول (لا أدري).
- أو لا يجيب حتى ينزل عليه الوحي.

إما يجيب تصريحًا بأن هذا لا يعرفه، أو يقول: "قم حتى ينزل الله فيك وحيًا" وهذا يشبه موقف المجادلة عندما أتت للنبي وبقيت تجادل النبي حكم زوجها، كما في مطلع سورة المجادلة (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا) فأخذت تشكي إلى الله حالها وحال أطفالها، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان يقول لها: "ليس عندي شيءٌ". كان من المعلوم عندهم أن الظهار أن يقول الرجل: "أنت عليّ كظهر أمي" كأنه طلاق، فأتت تشتكي وتجادل النبي في الحكم يعني تقول له: "هذا حالي وحال أطفالي إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن أخذهم ضاعوا..." فأخذت تجادل النبي وتشتكي إلى الله والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لم يكن بيده شيء إلى أن نزل حكم الظهار وكفارته. معنى ذلك أن النبي الكريم لم يكن يحكم حتى تحت ضغوط هذه العاطفة، إذًا هذا مسلك من عظّم الشريعة أنه لا يتقدم بين يدي الله ولا رسوله. هذا في حال النبي، وبالنسبة لنا في أحوالنا فالأحكام

قد فُرغ منها وحُكم فيها، فإن كنت لا تعلم الحكم، فلا تتكلم فيه، لأن الكلام الذي نقوله نتيجة الجهل يُوقع الناس في حرج في دينهم أو يتساهلون ويفعلون أفعالًا تخالف أمر الله، أو يعتقدون اعتقادات باطلة في الله، في أسمائه، في صفاته، في أفعاله، وهذا حال أهل البدعة كما تعلمون.

كأنه يقال إذا كان هذا حال النبي، فمن باب أولى تكون أحوالنا ألّا نتكلم فيما لا نملك دليلًا عنه. وكنا في الباب السابق نقول: "ولا حتى نقيس المسائل." سأضرب مثالًا لتتصورا القياس أو عدم المعرفة: يأتي من يقول لك إنه أتى معتمرًا ومرّ بالطائف -قبل السيل الكبير- ودخل إلى الشقة وأحرم وعندما مرّ على السيل الكبير الذي هو مكان الإحرام لم يُحرم ولم يتذكر. ما الحكم في المسألة؟ أنت تقيس وتقول: "ما دمت قد مررت على الميقات ولم تحرم منه، إذًا أنت لم تحرم!" وهذا الكلام ليس صحيحًا؛ لأن الميقات الحد الأخير الذي يُطلب من الإنسان ألّا يتعاده إلا وهو محرم، لكن إن أحرم قبله ودخل في النسك وإن عُرض عليه الطيب ما تطيب مثلًا فالإحرام يصح، لكن هؤلاء قاسوا وقالوا لا

يصح له، وهذا غير صحيح، فعلينا ألا نفتي بل ننتظر قول أهل العلم، لا يصحّ أن تتعلم معلومة وتضعها وتقيس كل المسائل عليها! بل كل حالة لها فتواها، وهذا بالضبط مثل علاج بعض الأمهات عندما يصاب الطفل في بطنه يُعطون الأبناء نفس الدواء! كأن كل أمراض البطن لها نفس العلاج! وهذا فساد لعلاج البدن يشبهه فساد علاج القلب.

علينا أن نضع أنفسنا في المكان الصحيح ولا نتعالم ونتكلم إلا بما نعلمه ولا نقيس المسائل على بعضها، والحمد لله العلماء متوفرون، خصوصًا في مكان مثل هذا المكان العظيم، الإحرام، النسك...الأكشاك كثيرة التي فيها العلماء، يُشكل عليك مسألة أسأل مباشرة، ولا تسأل أي أحد في طريقك، بل اسأل من وُضع للسؤال لأن به تبرأ الذمة، فلابد أن نحفظ ديننا من جهة ونحفظ الناس الذين هم أمامنا؛ لأنه في الحديث السابق يأتي أقوام جهال يقفون للفتوى والناس يسألونهم فتقع المشكلة من الطرفين.

معنى ذلك ما دام أن النبي كان يقول: (لا أدري) أو يسكت، فمن بعده من باب أولى، وهذا لا يوجد فيه أي نوع من الحياء ولا فيه

تقليل من شأن الإنسان أبدًا، بل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- عُوتب في بعض المسائل لما وقع منه اجتهاد، مثل لما عُوتِب على أسرى بدر؛ لأنه رأى -صلَّى الله عليه وسلَّم- أن يبادلهم بالمال فعُوتب على ذلك ونزل الأمر بقتلهم. إذًا يمكن أن يجتهد النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ويُعاتب على اجتهاده، فإذا كان النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قد يُعاتب على اجتهاده -مع علمه بالله وبالشرع- فنحن لابد أن نعلم مكاننا وهذا يمنعنا من الوقوع في الخطأ في حق أنفسنا وفي حق الله.

قال: (لِقَوْلِهِ تَعَالَى: (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ)). هذه الآية في سورة النساء مطلعها قوله تعالى: (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا)[12] إذًا تحكم بين الناس بأي شيء؟ هل برأيك؟ لا، (بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ).

(وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: سُئِلَ النَّبِيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- عَنِ الرُّوحِ فَسَكَتَ حَتَّى نَزَلَتْ) كما تعلمون في الحديث وقد مرّ معنا في كتاب الاعتصام أن اليهود مرّ عليهم النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-

[12]() النساء: 105.

وسألوه عن الروح، فسكت النبي حتى نزلت الآية، معنى ذلك أن النبي لا يتكلم في دين الله إلا عندما ينزل عليه الوحي.

ثم أتى بشاهد وفيه موقف لجابر بن عبد الله، لما دخل عليه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يعوده في مرض، ظن جابر أنه يموت فيه، ولما دخل عليه كان جابر قد أغُمي عليه، فتوضأ النبي وصب وضوءه عليه فأفاق، وهذا في حق النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهذا التبرك بالوضوء خاص بالنبي وليس لكل أحد.

قال جابر: (فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ أَقْضِي فِي مَالِي؟ كَيْفَ أَصْنَعُ فِي مَالِي؟) ظن أنه مرض الموت (قَالَ: فَمَا أَجَابَنِي بِشَيْءٍ حَتَّى نَزَلَتْ آيَةُ الْمِيرَاثِ) وفي آية الميراث أتى بتكرار قوله تعالى: (يَسْتَفْتُونَكَ)، (قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ)؛ إذًا الفتوى لله. أمر خطير! فلابد أن نضع أنفسنا في مكانها الصحيح.

بهذا اتضح لنا ما يزيد بيان اللقاء الماضي، أننا علينا ألا نقيس ولا نتكلم برأينا، لأنه قد تحدث مواقف ونقيس فيها بناء على علمنا، مثلًا نرى الرجال في المسعى يهرولون ونحن نعلم القصة، أن هاجر كانت تهرول ما بين الصفا والمروة، ليس قصدها العبادة

إنما قصدها البحث عن الماء، فنقرر بأنفسنا أن الهرولة ليست خاصة بالرجال، بل ونحن أيضًا والدليل بالقياس أن هاجر هي أول من هرول! ويحدث الفساد! وهذا المقصود بالقياسات الفاسدة، أنك تعلم معلومة فتقرر وتفكر وتحلل! ونحن نصف أنفسنا أننا أذكياء، فاهمون...! والحمد لله هذه نعمة الله علينا أننا نفهم، لكن المطلوب منا أن نفهم كلام الله، نبذل جهودنا في فهم كلام رسول الله، يعني القوة والطاقة في الفهم ليست لتحليل المسائل على رأينا، بل لفهم كلام الله ورسوله والالتزام به. نأتي للباب التاسع:

بابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلَا تَمْثِيلٍ

- حدثنا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْإِصْبَهَانِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ذَكْوَانَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ، يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: "اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا"، فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا

عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ"، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: "وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ".

← نبدأ باسم الباب لأن له العلاقة بباب الاعتصام.

لازلنا في نفس المسألة، لا نتكلم بقياس ولا نتكلم برأي، والرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان يقول: (لا أدري)، وكان إذا سُئل عن شيء يسكت حتى ينزل فيه الوحي. ماذا نفعل بعقولنا وقدراتنا؟ قال: (بابُ تَعْلِيمِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ) معناه أن ما نملك من قدرة لا نصرفها في القياس على معلومات بسيطة، إنما نبذل جهودنا في التعلم.

ثم قال: (مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ) إذًا تعليم النبي -صلَّى الله وعليم وسلَّم- وتعليم أي أحد بعده ورث عن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ما مصدره؟ (مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ) . وهنا في خارج موضوعنا نشير إلى مسألة خطيرة جدًا ودائمًا تكرر على لسان بعض المستشرقين والمثقفين، أنهم يمدحون النبي أنه عبقري أو فيه من الذكاء، ويريدون بهذا المدح الإشارة الخفية إلى أن ما أتى به إنما هو من

تلقاء نفسه! وأنه مصلح اجتماعي، وأنه فكّر وقدّر وأخرج للأمة كل هذه الأحكام التي تدل على ذكائه وفطنته! ونحن يقينًا نعلم أن فيه من الذكاء والزكاء ما لا يوجد في أحد من الخلق، بل اجتمع له هذا كله، لكن هذا اجتمع لاستقبال ما علّمه الله، وليس لإنتاج هذا العلم للناس، وهذا الفرق في طرح هذا المفهوم. المقصد: أن هناك من الغمز واللمز من هذا الكلام ما يجعل الناس يظنون أنهم يمدحون رسول الله! وهم في الحقيقة يريدون أن يصلوا إلى أن هذا الدين من اختراع النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فنحن نقول: "للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- صفات الكمال البشري في كل شيء تظنه، من حيث أخلاقه الكريمة، من حيث طاعته وعبادته، من حيث فهمه، فهمه حتى لأحوال الناس حوله، كل هذه عطايا الله فهو أكمل البشر، لكن ليس هذا الكمال منه أتت الشريعة، بل يعلّم الرجال والنساء مما علمه الله، بدليل أنك تجد في القرآن كثيرًا قوله تعالى: (قُلْ) إذًا هو يؤمر بأن يقول، معناه يعلمه الله وينزل عليه الوحي، فتسمع آيات وينزل عليه الوحي فتسمع السنّة، فالسنّة والقرآن كلاهما وحي حفظه الله عزَّ وجلَّ.

قال: (لَيْسَ بِرَأْيٍ وَلَا تَمْثِيلٍ) بهذا نكون مطمئنين لعقيدتنا أن ما يقوله النبي ويعلمه لأمته إنما مما علّمه الله، ولا تلتفت إلى ما يقولونه كأنها مدح لكن في حقيقته أنه قدح في النبي صلَّى الله عليه وسلَّم.

أتى بشاهد على أن النبي يعلم أمته فقال: (جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ، يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ) إذًا هذه عقيدة نحملها أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- علّم الأمة مما علمه الله، ليس برأي ولا تمثيل، يعني ليس فكرًا أبدًا؛ ولذلك عندما نأتي ونرى نتاج الفكر الإنساني أو ما يسمونه الفكر الإسلامي، نراه يدخله الفلسفة ولابد، لكن عندما نرى آثار العلم، سنراها تهدي الفكر، يعني أنت تفكر وعقلك يستفيد لكن مما علمك الله، فرق كبير بين الرأي والتمثيل وبين تعلّم ما علمنا الله، من يتعلم مما علمه الله سيفكر فيما علّمه الله ويفهم ما علّمه الله وينتفع به، مثلًا: الله -عزَّ وجلَّ- علّمنا عن آياته العظيمة التي هي بمثابة شواهد على كمال صفاته، وكثير ما يأتي في القرآن الإشارة

إلى الشمس، من شروقها إلى غروبها، كيف أنها من المخلوقات العظيمة التي تدل على عظمة الخالق، مثل هذا الخبر الذي أتى عن خلقه للسموات والأرض وخلقه للشمس تسمعه من كلام الله ثم تفكر فيه بيومك وليلتك، ومن قرأ مطلع سورة يونس، وقرأ فيها احتجاج الله على من أنكر البعث بالشمس والقمر، تفكر كيف احتج عليهم؟ هم أنكروا البعث، ويرد عليهم فيقول لهم بمعنى أن فكرّوا في الشمس والقمر ستعلمون أن البعث حقيقة، فتفكر أنت كيف تدل الشمس والقمر على البعث؟ إلى أن تفهم كلام أهل العلم ويظهر لك المعنى بوضوح،

- كل يوم تولد فيه الشمس، معناه أن هذه ولادة.
- كل يوم تبقى الشمس فيها في رابعة النهار، معناها الشباب.
- ثم في الغروب كأنها تموت.
- عندما تموت من يردها مرة أخرى؟ الله عزَّ وجلَّ.

انظر للقمر بنفس الصورة، يولد في أول الشهر كأنه الإنسان، يصبح في وسط الشهر بدرًا كأنه الشباب، يأتي في آخر الشهر يموت، من يرده مرة أخرى؟ الله، فهذه أدلة على أن من يمر بهذا

كله ويموت من يرده؟ يرده من يردك أنت، من ردّ الشمس كل يوم، ومن رد القمر كل شهر، الله. فالمعنى أن مثل هذا فكّر فيه يعني فكّر فيما أخبرك الله.

تأتي الأمثال في القرآن، يُضرب لك مثل في القرآن يراد منك التفكير فيه، في سورة الجمعة مثلٌ عن اليهود وعلاقتهم بالكتاب تخويفًا لك حتى لا تفعل ما فعلوا، قال تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)[13] فكّر الحمار يحمل أسفارًا، ماذا يستفيد منها؟(أَسْفَارًا) يعني كتب فيها علم، هل يستفيد منها؟ لا، فكل من حمل الكتاب وحفظه، مادام لم ينفعل به يصبح مثل هذا المثل. المقصد: أن في كتاب الله وسنّة نبيه ما تفكر فيه، وُهبت عقلًا من أجل أن تسمع ما علّمك الله فتفهمه وتفكر فيه كما ينبغي، تفهم كلام الله لا أن تنتج على كلام الله كلام! بل افهم ما قاله الله وقاله رسول الله.

الأمثال كلها في القرآن تحتاج إلى عناية ولذلك كان السلف عندما يمرون على مثل ولا يفهمونه يخافون على أنفسهم؛ لأن من أوصاف المؤمنين فهم الأمثال، ومن أوصاف المنافقين عدم فهم

---

[13]() الجمعة: 5.

الأمثال، والأمثال في القرآن كما يقول أهل العلم: "سُرج القرآن" يعني التي تضيء لك الفهم.

يُضرب لك مثل بالعنكبوت وتعلق الناس بغير الله، كأنهم احتموا ببيت العنكبوت! بيت العنكبوت تراه أمام عينك وتراه ما يحتمي به أحد، فكأنه يقال: أي أحد من الناس تدخل تحت حمايته، وترى أنك مطمئن لذلك، أيًا كان سلطانه، فإن سلطان أي أحد من الناس يشبه ظل بيت العنكبوت تمامًا! لا يحمي أحد ومثله سلطان أي أحد من الناس لا يحمي، وبذلك تتكوّن عقائد وتفهم الحياة من كلام الله، وهكذا تفهم لماذا كل هذه المخلوقات حولك، يعني تنتفع بها، تعتبر بها، تستمتع بها، كلها ما تخلو من هذه المصالح: للانتفاع، للاعتبار، للاستمتاع. ومن رأى هذا في كتاب والله وفي الكون إلا ويزداد يقينًا برب العالمين.

الشاهد: نحن نتعلّم ما علّمنا الله ولا نتكلم إلا بما علّمنا الله.

هذه المرأة الفطينة أتت للنبي وقالت له: (ذَهَبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِكَ، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِكَ، يَوْمًا نَأْتِيكَ فِيهِ تُعَلِّمُنَا مِمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ)، هذه الفطنة تلزمنا أن نفهم أن العلم ليس خاصًا بالرجال دون النساء،

بل الرجال والنساء وكما يقول أحد المعاصرين: "إنك إن علمت ولدًا علمت فردًا، لكن إن علمت امرأة علمت أمة!" والسبب أن تحت هذه المرأة ما تحتها، وقدرة المرأة على الكلام والإقناع كبيرة، وهذه الميزة تساعدنا على أن نبذل جهودنا في نشر العلم وتعليمه. وهذا فضل الله، ومن يتربى تحت أيدينا يتربون في زمن يكونون فيه مستعدين للتربية، يعني تصور نقش الأمهات في فطر الصغار وستعلم الفرق بين تعليم الرجل وتعليم المرأة، يعني المرأة عندما تتعلم ستنقش في فطر كل هؤلاء الأبناء، في مقابل أن الرجال لا يلتقون بالعلماء إلا بعد مرور فترة الفطرة السليمة، فالولد من أن يفهم الخطاب ويرد الجواب إلى قرب البلوغ، يكون باقيًا على فطرته السليمة ويستقبل منك، ثم يخرج بعدها للمساجد وللعلماء، فالفترة الخطيرة من حياته ستكونين أنت معلمته.

فَقَالَ: (اجْتَمِعْنَ فِي يَوْمِ كَذَا وَكَذَا، فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، فَاجْتَمَعْنَ فَأَتَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللَّهُ، ثُمَّ قَالَ: "مَا مِنْكُنَّ امْرَأَةٌ تُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهَا مِنْ وَلَدِهَا ثَلَاثَةً، إِلَّا كَانَ لَهَا حِجَابًا مِنَ النَّارِ") يبشرهم أن فقدهن لأبنائهن سببٌ في أن يكنّ

حجابًا لهنّ من النار. والمعنى أن هذه الشريعة العظيمة لما نزلت جعلت لكل أحد من الجنسين- الذكر والأنثى- ما يناسبه من أبواب الأجور، فالمرأة التي تشعر بالفقد أكثر من الرجل ويكون هذا الطفل في أحشائها وأحضانها، عندما يموت هي ستكون المأجورة على فقده وإن كان الأب يؤجر، لكنها تؤجر أكثر ويكون حجابًا لها من النار؛ بسبب ما يكون في قلبها من مشاعر، وهذه مراعاة من الشريعة لها تخصيصها أن الأجر لها أكثر: (فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ اثْنَيْنِ قَالَ: فَأَعَادَتْهَا مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: "وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ وَاثْنَيْنِ") وهذا من رحمة الله بنساء المؤمنين بأن فقدهم جبره يكون بالعوض بالحجاب من النار، كما أن الرجل قد قيل له: «مَن ابتُلِيَ بشيءٍ منَ البَناتِ فصَبرَ عليهنَّ كنَّ لَهُ حِجابًا منَ النَّارِ»[14] يعني تأتي الأخبار المبشرات موافقات لمشاعر الناس، الرجل قيل له إن ابتليت بشيء من البنات وربيتهنّ وأحسنت تربيتهنّ؛ يكن حجابًا لك من النار. لماذا؟ لأنه سيستثقل البنات، فقيل له: "أحِبّ البنات بسبب أنهن حجابٌ لك من النار"، وقيل للمرأة التي فقدت أبناءها -لأنها أكثر مشاعر تجاه المفقود- إنها إن

[14]() أخرجه البخاري (1418).

فقدت اثنتين أو ثلاثة؛ يكنّ حجابًا لها من النار، فأتت المبشرات موافقة لأحوال الناس، سبحان من شرّع هذا الشرع العظيم!

نستفيد فائدة أخيرة: انظر للمرأة كيف كانت تسأل الرسول، وكان السؤال في مكانه، وكان مفيدًا لنا، أنه كان الحكم لثلاثة وأصبح لاثنين، فهذا معناه أن المرأة أيضًا لها قدرة وفطنة على السؤال الجيد. أسأل الله أن يرزقنا ذلك!

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته